١٦ بعض الطعون الشديدة في أهل العلم:

قال د. أبو عبد الحق في رسالته "حكم دراسة وتدريس أهل السنة في الجامعات المختلطة للحاجة والضرورة" (النسخة الأولى) - مشنعاً على من لا يرى التدريس في المدارس والمعاهد والجامعات المختلطة -: ((أقوام ينظرون إلى السيئات فيرجِّحون هذا الجانب وإن تضمَّن ترك حسنات عظيمة!؛ وهذا كصنيع أصحاب الفقه الأعور!، والغلاة!، والمتشددين!، والمتهورين!، السطحيين!، والذين يعملون بقاعدة: "درء المفسدة أولى من جلب المصلحة" بإطلاق))، ولم يتراجع عن هذه الطعون وإنما حذفها في الطبعة المنشورة فحسب!.

ووصف كل من لا يرى الدخول في المدارس والمعاهد والجامعات المختلطة بالتخاذل والفرار من الزحف:

قال في رسالته المنشورة في شبكة سحاب وغيرها بعنوان "الأقوال السَّنية في منع الدراسة عند الجمعيات" الحزبية ص٢٠ وهو يتكلَّم عن الدراسة عند أهل البدع: ((أما إن كنتَ في دراسة نظامية [المدارس والمعاهد والجامعات المختلطة] لا خيار لك: فاحذر منهم مع الاستعادة من شرهم، ولا تتخاذل عن الطلب؛ فأخشى أن يكون هذا من التولي يوم الزحف!!، فما عليك إلا أن تبيِّن أمرهم وتتقي شرهم وتكشف سترهم، ولا تقاس الجمعيات الاختيارية بالجامعات والمدارس النظامية؛ لأنه معلوم أنه ليس من الضرورة في شيء ذهاب الشباب إلى الجمعيات الحزبية، لأنَّ ما عندهم كلحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل)).

ووصف مَنْ يفتي بعدم جواز صرف الزكوات للقنوات الفضائية (وهو يعلم أنَّ الشيخ ربيعاً والشيخ محمداً من هؤلاء) بالتخاذل؛ فقال: ((فيطلع علينا على المنبر ويقول: الزكاة لقناة "النصيحة" لا يجوز، فهذا هو التخاذل!)).

ووصف من يرى حرمة التصوير بأهل الشذوذ وضيق الفهم للنصوص من السلفيين:

فقد سأله مقدِّم قناة nrt الكردية: أنتم يقال لكم سلفيين، يقال أنكم ضد الشدة، ولكنكم تقولون بها في خطبكم مثلاً: التصوير مسألة خلافية بين العلماء.

فقال د. أبو عبد الحق: بلا شك!

فقال المقدِّم: إذن هناك بعض الخطباء السلفيين في خطب الجمعة يعتبرون صاحب الصورة مجرماً وعدواً لله ومضاهياً لله؟!

فقال أبو عبد الحق: ((إذا سألتني فأنا كمعلِّم سلفي كما عرَّفتني به؛ أنا مدير القناة الفضائية "منبر الأثر" القناة الفضائية، هل يوجد فيها صورة؟! نعم فيها صورة، القناة الفضائية تقوم على ماذا؟ تقوم على التصوير، فإذا أخطأ أحدٌ مثلاً، أخطأ أحد في مذهب الشافعي لا نقول: أخطأ الشافعي ومذهب الشافعي خطأ، وإذا أخطأ أحد في حزب لا نقول: ذلك الحزب يخطئ، وإذا أخطأ أحدٌ في فكر وتصور وتوجه لا نقول: والله هذا الفكر كلُّه خطأ، لا شك الشذوذ يوجد في كل طائفة، أما كاعتقاد بأنَّ الشيء فيه مصلحة وضرورة وخدمة، وأي شيء تصوره سواء كانت بالصورة الفوتوغرافية أو بالفيدي: ليست عندنا أدنى مشكلة)).

فقال له المقدِّم: إذن هؤلاء الذين يتكلَّمون باسم السلفية؛ ربما هجموا على شخصك؟

فقال أبو عبد الحق: بلا شك.

فقال المقدِّم: هل يعتبرون أنهم على خطأ؟

فقال أبو عبد الحق: ((بلا شك مخطئ، ليس لأنه هاجمني لأنني لستُ معصوماً، ولستُ مقدَّساً لا يجوز أن أُخَطَّأ، أو لا يجوز أن ينتقدني، لكن الفهم الضيق للنصوص والآيات والأحاديث؛ هذا موضع الانتقاد والخطأ)).

وقال في برنامج "دور الخطيب في المجتمع" على شاشة "قناة nrt": ((وبعضهم: يرى أنه إذا كانت في المجلس امرأة يجب عليَّ أن أغادر الاستوديو وأركض!، وهذا من جهله وعدم فهمه وضعفه!!، ومن ناحية أخرى يقولون: يا أُستاذ لا يجوز أن تشارك في برامج فيها الموسيقى بين الفواصل!، أخي العزيز يعني أن هناك بعض تفكُّرٍ ضيقٌ للغاية مع الأسف، انظروا يخرج المفتي العام وصالح الفوزان على شاشة قناة سعودية رقم ١ مع أنَّ القناة فيها موسيقى وأفلام ومخالفات شرعية أخرى، ولكن يخرج على شاشة هذه القناة يدعو، ويقول كلمة الخير، وهو لا يقول: والله أنا ما أخرج لأنَّ هذه القناة ليست مئة بالمئة نظيفة)).

وقال أيضاً: ((عندما أقول ربيع بن هادي المدخلي عالم من العلماء، مع ذلك في عديد من المسائل أنا لا أطيعه، كمثال: أنا عندي قناة فضائية - قناة النصيحة -، فالخروجُ في القناة والتصويرُ عنده ليس حلالاً، وأنا رأيه غير مقبول عندي أصلاً ولا أُجَوِّزه!!)).

وقال في "الجواب الصريح" ص٨٥-٨٦: ((وبرهان قولي: أنَّ طالب علم مثلي يخالف الشيخ (ربيعاً) ويردُّ قوله بأدب في بعض المسائل الفقهية الاجتهادية، منها:

١- تحريمه ظهور العلماء على الفضائيات؛ فأخالفه مع احترامي له في هذا، وأرى جواز ذلك لمصلحة نشر التوحيد والسنة ورد الشرك والبدعة.

٢- تحريمه التدريس في المدارس والجامعات المختلطة مطلقاً؛ فأنا الصغير بجانبه: أرى جواز ذلك للضرورة الدعوية ولكن بضوابط ذكرتُها في رسالتي التي قرظها الشيخ عبيد)).

وقد أنكر الشيخ ربيع حفظه الله على أبي الحسن المأربي دعواه أنَّ التصوير والدراسة المختلطة من المسائل الخلافية بين أهل العلم، وأنها تجوز للضرورة، فقال في "التنكيل بما في لجاج أبي الحسن من الأباطيل": ((سَمِّ لنا هؤلاء العلماء؟ واذكر لنا أدلتهم من الكتاب والسنة؟ وإلا فأنت من المقلِّدين العميان المعرضين عن أصل أهل السنة وأدلتهم الكثيرة من الكتاب والسنة، والتي هي في غاية القوة والوضوح، وليس التقليد الأعمى والإعراض عن النصوص بغريب منك، فهذا منك كثير؛ فحيث تتعارض نصوص الكتاب والسنة مع أراء الرجال تقدم أراء الرجال إذا وافقتْ هواك وتعرض عن النصوص؛ كما فعلتَ في قضية "اختلاط الجنسين في المدارس والجامعات"، وكما فعلتَ في "قضية التصوير"، وكما فعلتَ في "قضية حلق اللحى"، تعلَّقتَ في بعض هذه بأقوال بعض الرجال التي رجعوا عنها إلى نصوص الكتاب والسنة، وأبيتَ إلا المضي في باطلك، والحق أنك في الواقع تترسم خطى أهل الباطل من المستغربين؛ وعلى رأسهم الإخوان المسلمون، وكما فعلتَ في كتابك هذا "قطع اللجاج" حيث تلجأ إلى التقليد؛ فتقول: وقد سبقني فلان وفلان!، في عدد من القضايا، وهذا منك جمع بين التقليد الأعمى والتلبيس)).

جواب الدكتور عبداللطيف على هذه المؤاخذة :

قد أجبت عن هذه المؤاخذة و بينت ما هو الحق في كتابي قذائف الحق (٤١-٤٢) المنشور في سحاب قبل أكثر من سنة يُراجع هناك .

أقول : **فمن فهم من كلامي هذا أنّي أقصد أحدا من مشايخنا الأفاضل من أمثال شيخنا الشيخ ربيع ـ حفظه الله ـ أو غيره من المشايخ الأفاضل، من زعم أني أقصدهم فهو كذاب أشر، ومفتر وقائل عليّ بغير علم، وإني لن أسامحه في ذلك، وأشكوه إلى الله عز وجل، وسأدعو عليه لأنه حرّف كلامي وقال أني أقصد بعض مشايخنا الأفاضل، وفهم من ذلك أني أقصد بعض المشايخ الأفاضل** وهذه من الإلزامات التي حذَّرتُ منها)).

فأي شخص ينقل عني غير هذا الكلام ويحمله على أنني أقصد فلانا وفلانا من المشايخ و ينشر ذلك عني فذلك شخص مشبوه، وقد رددت على المميعة بشيء من القسوة واستخدمت في الرد عليهم كلمات جارحة لما رأيت بغيهم وعدوانهم عليّ، فهم كلهم من خريجي المدارس والجامعات المختلطة، وقد وصل كبيرهم إلى رئيس الوزراء العراقي وطلب منه الشفاعة له عند الوزير لقبوله في الجامعة المختلطة لدراسة الماجستير ولكن منع من قبوله ضعف درجته ولم تنفعه شفاعته له، فانقلب بعد ذلك يطعن في المقبولين في الجامعة حسدا وبغيا وليس ديانة.

فصدر مني هذا الكلام الذي نقله عني وعابني به الناقد من باب ردّ فعل مني لعمل رجل مميع أفاك متجن عليَّ فقلت ما قلت من العبارات القاسية لدفع ظلم معين من شخص جاهل ظالم، وليس معنى كلامي الطعن في مشايخنا السلفيين الذين يحرمون الدراسة المختلطة ديانة أبدا.

ولكن مع الأسف يأتي هذا الناقد اليوم فيحيي هذه المسألة من جديد إما انه يبكي لأولئك الباغين!!.

أو أنه يريد أن يصور للعلماء أنني استخدمت هذه الكلمات الجارحة في حق علماءنا ومشايخنا، وهذا كذب وظلم وبغي غير مقبول شرعا.

ثم هذا الكلام الذي نقله عني كان بادئ الأمر أي قبل طبع ونشر رسالتي التي نشرتها بدون هذا الكلام، ولكن مع الأسف جاء الكاتب فنقل ما تركته ولم أكتبه في رسالتي لكي يعيبني به.

وقلت في كتابي قذائف الحق (٥١-٥٣): الاتهام الحادي عشر: (وصف من يحرم التصوير بالشذود والفهم الضيق للنصوص والآيات والاحاديث وتشبيه المحرمين للتصوير كمن اخطأ في مذهب امام معتبر...)

قلت / هذا الإطلاق من الكاتب كإطلاقه السابق أخرجه إما من سوء فهمه وإما من سوء قصده وأرجح الأخير، يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- : ((**إنما يؤتى من سوء فهمه أو من سوء قصده أو كليهما فاذا اجتمعا كمل نصيبه من الضلال**)) مختصر الصواعق ٤٨٥/١ .

فالكردي الذي ترجم له كلامي يعلم جيدا أنني تكلمت في التصوير للخطب والمحاضرات والدروس العلمية التي تنفع المسلمين وليس للحفلات والمناسبات ولما لا منفعة فيه ولا حاجة ولا ضرورة.

وأنا لم أصِف من يحرم التصوير بالفهم الضيق للنصوص على الإطلاق وإنما قيدت ذلك بمن يحرم مطلق التصوير ولا يستثني منه ما استثناه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث الرُبيع بنت معوذ كما في آداب الزفاف للألباني.

قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: ((وقبل أن أنهي هذه الكلمة لا يفوتني أن ألفت النظر إلى أننا وإن كنا نذهب إلى تحريم التصوير بنوعيه جازمين بذلك فإننا لا نرى مانعا من تصوير ما فيه فائدة محققة دون أن يقترن بها ضرر ما، ولا تتيسر هذه الفائدة بطريق أصله مباح مثل التصوير الذي يحتاج إليه في الطب وفي الجغرافيا وفي الاستعانة على اصطياد المجرمين والتحذير منهم ونحو ذلك فإنه جائز بل قد يكون بعضه واجبا في بعض الأحيان والدليل على ذلك **حديثان:**

الأول: عن عائشة أنها كانت تلعب بالبنات فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي لي بصواحبي يلعبن معي.

أخرجه البخاري ٤٣٣/١٠ ومسلم ١٣٥/٧ وأحمد ١٦٦/٦ و ٢٣٣ و ٢٣٤ واللفظ له وابن سعد ٦٦/٨ وفي رواية عنها أنه كان لها بنات - تعني اللعب - فكان إذا دخل النبي صلى الله عليه وسلم استتر بثوبه منها. قال أبو عوانة: لكي لا تمتنع. أخرجه ابن سعد ٥٦/٨ وسنده صحيح.

قال الحافظ: "واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن".

الثاني: عن الربيع بنت معوذ قالت:

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأمصار [التي حول المدينة] "من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما فليصم" قالت: فكنا نصوم ونصوم صبياننا [الصغار منهم إن شاء الله ونذهب إلى المسجد] ونجعل لهم اللعبة من العهن [فنذهب به معنا] فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون الإفطار)).

وعلماؤنا السلفيون لم يحرموا التصوير بإطلاق في واقع عملهم؛ لأنه ما من عالم إلا وله صورة للمعاملات أو الجواز أو ما شابه ذلك.

ويخرج كثير من علمائنا في الفضائيات كاللحيدان والفوزان والمفتي وللشيخ ابن باز -رحمه الله- تصوير فيديو لبعض محاضراته وكذلك الشيخ ابن عثيمين وغيرهم من المشايخ الأفاضل.

أما الخلاف في مسألة التصوير للخطب والمحاضرات بين مشايخنا فخلاف سائغ وهو خلاف اجتهادي.

وقد صور خصومي واقعي على أنني في القنوات الفضائية أتباهى بمخالفة الشيخ ربيع في كثير من المسائل.

و هذا كذب وافتراء وهم يعلمون أنه ما دافع احد عن الشيخ ربيع مثلما دافعت انا عنه وعن منهجه بحق في كردستان العراق ،ومع أن هؤلاء الحدادية يعرفون أن الإخوان المفلسين والحزبيين والتكفيرية يطعنون فينا بأننا متعصبون للشيخ ربيع وأننا لا نحتكم الى القرآن والسنة وإنما نحتكم الى الشيخ ربيع وقوله مقدم عندنا على كلام الله ورسوله، وسعياً مني لدفع هذه التهمة الكاذبة قلت: إن الشيخ ربيعاً عالم من علماء أهل السنة ولست مقلداً له بل هناك مسائل إجتهادية لست على رأي الشيخ ربيع فيها لأبرهن للناس أننا لسنا متحزبين متعصبين، وهذا هو ما أعتقده أيضا في واقع الأمر.

ولا ضير في هذا ، ولكن جاء الكُتّاب الغشاشون هؤلاء فقلبوا صورة الواقع وصوروه على أنني أنتقص من الشيخ ربيع وأتباهى بذلك، وهم يعرفون مقصدي ولكنهم قلبوا الأمر لحاجة في نفوسهم لعلهم يحصلون من الشيخ ربيع على كلمة جارحة لي وحينئذ يفرح المجرمون من تكفيرية وحزبية وصوفية وحدادية.